الخصائص الفكرية والاعتقادية للمسلم
في التعامل مع الأوبئة

The Beliefs And Intellectual Characteristics Of Muslim
In Dealing With Epidemics

د. سلطان بن عبد الرحمن العميري
أستاذ مشارك بقسم العقيدة
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

Dr. Soltan Ibn Abd Al Rahman El Emiery
Assistant Professor In The Deparment Of Theology In
Umm Al –Qura University In Makkah

ملخص البحث

موضوع البحث:

تقوم فكرة البحث على تحديد أهم الخصائص الفكرية والاعتقادية التي يتميز بها المسلم وينفرد بها في التعامل مع الوباء، وسبق ذلك بيانُ معنى الخصائص وتحديد مصادرها والكشف عن أهم سماتها.

أهداف البحث:

الأمر الأول: أن تحديد الخصائص الفكرية والاعتقادية من أهم ما يحافظ على الهوية الخاصة بالمسلم، ويعزز من قيمتها وأثرها في الحياة.

الأمر الثاني: أن الكشف عن الخصائص الفكرية والاعتقادية من أقوى ما يساعد على رفع معنويات الإنسان في التعامل مع الوباء، ويشد من أزره في التعايش معه.

الأمر الثالث: أن الكشف عن الخصائص الفكرية والاعتقادية من أعظم ما يقوي اليقين بصحة الإسلام ومناسبته لكل الأزمان والأحوال التي يمر بها الإنسان.

منهج البحث:

اعتمد البحث على مزيج من المناهج البحثية، فقد اعتمد على منهج الاستقراء والتتبع، ومنهج التحليل.

أهم النتائج والتوصيات:

من أهم ما خلص إليه البحث: أن المعتبر في خصائص المسلم ليس تميزه وانفراده الكلي فيها، وإنما يكفي أن يكون متميزا ومنفردا في معنى من المعاني المتعلقة بالخاصة.

وخلص إلى أن المصادر التي يؤمن بها المسلم وينطلق منها في بناء تصوراته ومواقفه، لها أثر بليغ في تشكيل هويته وحقيقته.

وخلص إلى أن خصائص المسلم متنوعة ومتعلقة بجهات مختلفة في كيانه؛ منها ما يتعلق بتفكيره، ومنها ما يتعلق باعتقاده وقلبه، ومنها ما يتعلق بعمله وجوارحه.

وخلص إلى اقتراح عقد ندوات ولقاءات تتناول كل قسم من أقسام خواص المسلم في التعامل مع الوباء بالنقاش والحوار، فهي جديرة بذلك.

الكلمات المفتاحية: خصائص-الوباء-الأوبئة-كورونا-كوفيد-١٩

Abstract

The subject:

The Idea of the Reacher is based on identifying the most important and unique beliefs and intel – lectual traits which distinguish the Muslim while treating with the epidemic.

And it was mentioned before the meaning of traits determining their sources, and unveiling their most salient features.

This article sets out to identify the unique traits which Muslims have when dealing with plagues. This is preceded by a discussion on shedding light on the meaning of these traits, determining their sources, and unveiling their most salient features.

The goals of this article:

First, the specification of unique traits is from amongst the most important of means of preserving the identity of Muslims, in addition to underlining their value and impact on their lives.

Secondly, revealing these unique beliefs and intellectual traits is one of the best means of raising the morale of a person in dealing with the plague and enables the individual to co –exist with it more effectively.

Thirdly, revealing the unique beliefs and intellectual traits is one of the greatest means of bol – stering one's Certainty in Islam's truth and its adaptability to all times and circumstances experi – enced by human beings.

The methodology employed in this research:

This article employed a variety of research methodologies by adopting inductive, tracking and analytical approaches.

bMain results and recommendations:

The most important conclusion reached in this research is that what is essentially considered when discussing unique traits is not their uniqueness in an absolute and universal sense, but rather that it suffices to demonstrate their uniqueness in a particular domain.

Another conclusion reached is that the sources which the Muslim believes in and bases his stanc –

es and worldview on, have a tremendous impact in shaping his identity.

Moreover, the traits of the Muslim vary and correlate to different dimensions of his being, such as his thinking, beliefs, and actions.

Finally, the article recommends arranging symposiums and meetings dedicated to discussing each trait of the Muslims traits in dealing with the plague.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين..
أما بعد؛

فإن العالم اليوم يعيش وباء عاما لم تشهد البشرية مثله في تاريخها من جهة الانتشار والشيوع إلا قليلا، وتكاد المجتمعات الإنسانية كلها تشترك في الإصابة به إلا ما ندر منها، واشترك الناس في التعامل مع هذا الوباء في كثير من الصفات والأعمال، وذابت كثير من الفروق بين المجتمعات.

ولكن مع هذا الاشتراك الواسع إلا أن المجتمع المسلم يتميز عن غيره في عدد من الخصائص العقدية والعملية المبنية على أصوله الإيمانية الكبرى، تجعله ممتازا عن غيره في كثير من التعاملات اليومية مع الوباء.

وللكشف عن الخصائص الفكرية والاعتقادية للمسلم في التعامل مع الأوبئة العامة أهمية بالغة، وذلك لأمور:

الأمر الأول: أن تحديد الخصائص الفكرية والاعتقادية من أهم ما يحافظ على الهوية الخاصة بالمسلم، ويعزز من قيمتها وأثرها في الحياة.

الأمر الثاني: أن الكشف عن الخصائص الفكرية والاعتقادية من أقوى ما يساعد على رفع معنويات الإنسان في التعامل مع الوباء، ويشد من أزره في التعايش معه.

الأمر الثالث: أن الكشف عن الخصائص الفكرية والاعتقادية من أعظم ما يقوي اليقين بصحة الإسلام ومناسبته لكل الأزمان والأحوال التي يمر بها الإنسان.

ولأجل هذه الأمور وغيرها جاء هذا البحث القاصد إلى تحديد خصائص المسلم في التعامل مع الأوبئة، وقد قام هيكل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة ففيها بيان أهمية الموضوع وهيكله.

وأما التمهيد ففيه بيان مفهوم خصائص المسلم ومصادرها وسماتها وأقسامها.

وأما المبحث الأول ففيه تعريف الخصائص الفكرية وتعدادها وموجبات كل خصيصة منها.

وأما المبحث الثاني ففيه تعريف الخصائص الاعتقادية وتعدادها وموجبات كل خصيصة منها.

وأما المبحث الثالث ففيه تعريف الخصائص العملية وتعدادها وموجبات كل خصيصة منها.

وأما الخاتمة ففيها بيان أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

مفهوم خصائص المسلم ومصادرها وسماتها وأقسامها

تعريف الخصائص:

يرجع معنى الخصائص إلى الانفراد والتميز، يقول ابن سيده (٤٥٨هـ-١٠٦٦م): «خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا، وخصصه واختصه: أفرده به دون غيره»(١).

وأرجع ابن فارس (٣٩٥هـ-١٠٠٤م) مادة «خصص» إلى الانفراج بين الشيئين الذي يتضمن الانفراد والتميز، فيقول: «الخاء والصاد: أصل مطرد منقاس، وهو يدل على الفرجة والثلمة... ومن الباب: خصصت فلانا بشيء خصوصية، بفتح الخاء، وهو القياس؛ لأنه إذا أُفرد واحد فقد أوقع فرجة بينه وبين غيره»(٢).

وبناء على هذا فالمراد بخصائص المسلم: الأمور التي يتميز بها عن غيره، وينفرد بها عن بني جنسه في التعامل مع الوباء.

وما يتميز به المسلم متنوع؛ فبعضه يعد المسلم متميزا بأصله، وبعضه يعد متميزا فيه بكماله، وبما يحتف به من معان زائدة على أصله، كتميز المسلم باستحضار معنى الأجر الأخروي في الحجر الصحي عند التعامل مع الوباء مثلا، كما سيأتي التنبيه عليه في البحث.

- **مصادر خصائص المسلم في التعامل مع الوباء:**

إنما اتصف المسلم بما يتصف به من الخصائص في التعامل مع الوباء لأنه يعتمد على عدد من المصادر التي لها أثر بليغ في تحقيق تلك الخصائص في نفسه، ويمكن أن نجمل أهم تلك المصادر فيما يلي:

المصدر الأول: الفطرة، فالمسلم بناء على إيمانه بدينه فإنه لا يصطدم مع الأمور الفطرية ولا يعارضها، وإنما ينطلق منها ويراعيها في كل شؤون حياته، ومن ذلك ما ينزل به من البلاء والمصائب، فالمسلم من أشد الناس حرصا على مدافعتها وحسن التعامل معها؛ لأن تلك أمور فطرية في نفوس البشر، وفطرته أكمل الفطر وأنقاها.

---

(١) ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م. (٤/ ٤٩٤).

(٢) ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دمشق: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م. (٢/ ١٥٢).

المصدر الثاني: الوحي، فقد تضمن الوحي من المعاني والمضامين الأخلاقية والقيم الإيمانية والتربوية ما يوجه المسلم إلى التعامل الأكمل مع الوباء؛ سواء في تفسيره أو في دفعه أو في التعايش معه، ويجعله متميزا عن غيره ممن لا يؤمن بوحي الله ونوره كما سيأتي بيانه.

المصدر الثالث: العقل، فالمسلم مع إيمانه بدينه فإنه يؤمن بقوانين العقل السليمة، وهذه القوانين تقوده مع الوحي إلى أرشد الطرق في التعامل مع الوباء تفسيرا ودفعا، فحين يفكر المسلم في الوباء الذي ينزل به لا يعتمد على الوحي فقط وإنما يجمع معه مصادر أخرى تعينه على تفعيل واقعه وقدراته وما يملك من مؤهلات، ومن أهم تلك المصادر قوانين العقل السليمة.

المصدر الرابع: التجربة، فكما أن المسلم يؤمن بقوانين العقل السليمة فإنه يؤمن في الوقت نفسه بمقتضيات التجربة المنضبطة وضرورتها، فهو يعتمد على هذه التجربة في التعامل مع الوباء في معرفة أسبابه وفي الكشف عن عوامل دفعه أو تحجيم أثره في حياته.

فإيمان المسلم بهذه المنظومة الرباعية وبانطلاقه منها في التعامل مع الوباء يجعله ممتازا عن غيره ممن لا يؤمن بها، بجميعها أو ببعضها.

- **سمات خصائص المسلم في التعامل مع الوباء:**

تتصف خصائص المسلم الفكرية والاعتقادية في التعامل مع الوباء بعدد من الصفات تزيد من جلائها وقوتها وشدة أثرها في حياة المسلم، ومن أهم تلك الصفات:

السمة الأولى: الشمول، ومعنى ذلك: أن الخصائص التي يمتاز بها المسلم شاملة لكل ما يتعلق بالوباء، فهي تتعلق بطريقة تفسير وقوعه وبمنهجية التعامل معه بعد وقوعه، وبآثاره بعد انجلائه.

وهي كذلك شاملة لكل ما يتعلق بالإنسان؛ فبعضها متعلق بطريقة تفكير الإنسان، وبعضها متعلق بما يقوم في قلبه عن الوباء، وبعضها متعلق بما يترتب في حياته من أمور عملية.

السمة الثانية: الثبات، ومعنى ذلك: أن الخصائص التي يمتاز بها المسلم في التعامل مع الوباء تتصف بالدوام والاستقرار، ولاتختلف باختلاف الأزمان والأماكن، فما يتصف به المسلم في زمن الوباء الذي نزل قبل خمسة قرون مثلا لا يختلف عما يتصف به في الوباء الذي نزل في هذا الزمان، وكذلك ما يتصف به المسلم الذي نزل به الوباء في الهند مثلا لا يختلف عما يتصف به المسلم الذي نزل به الوباء في بلاد المغرب.

وهذا ما يفسر التطابق أو التقارب الشديد بين تصرفات المجتمعات الإسلامية في التعامل مع الوباء كما سيأتي بيانه في أثناء البحث.

السمة الثالثة: التنوع الغائي، ومعنى ذلك: أن الخصائص التي يتصف بها المسلم في التعامل مع الوباء ليست خصائص دنيوية محضة، وإنما هي مع ذلك تتصف بالبعد الديني الإيماني؛ فالمسلم حين يتعامل

مع الوباء وحين يقوم بالأسباب التي تعينه على حسن التعامل معه فهو في الحقيقة يتعبد الله تعالى ويعمل بها ونظره إلى الآخرة، فهو يجمع بين النفع الدنيوي والنفع الأخروي؛ لأن المسلم يعلم من دينه أن ذلك كله من سنة نبيه ﷺ ومما أرشدت إليه نصوص دينه المشرف.

- **أقسام خصائص المسلم في التعامل مع الوباء:**

نتيجة لتنوع المصادر التي تعتمد عليها خصائص المسلم في التعامل مع الوباء ونتيجة للصفات التي اتسمت بها، فإنها لم تكن من نمط واحد، وإنما كانت أنماطا وأقساما، وسيركز البحث على ثلاث منها:

القسم الأول: الخصائص الفكرية، وهي متعلقة بطريقة التفكير ومناهج البحث والنظر في الوباء.

القسم الثاني: الخصائص الاعتقادية، وهي متعلقة بما يقوم في قلب المسلم من المعاني الإيمانية في التعامل مع الوباء.

القسم الثالث: الخصائص العملية، وهي متعلقة بما يترتب في حياة المسلم من أمور عملية في التعامل مع الوباء.

والأصل في هذه الخصائص للنوعين الأولين – الفكرية والاعتقادية – فهي بمثابة المنبع والقاعدة لما بعدها، وإنما ذُكرت الخصائص العملية في البحث؛ لأنها من اللوازم الضرورية للخصائص الفكرية والاعتقادية، ولأنها داخلة في حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، ولأن في ذلك تكميلا لخارطة الخصائص وتوضيحا لتكاملها، فلأجل هذا كله أضحت الأقسام ثلاثة.

وسنفرد لكل قسم من هذه الأقسام مبحثا خاصا، نتناول فيه مفهومه ومعالمه وأدلته وبراهينه.

المبحث الأول

خصائص المسلم الفكرية في التعامل مع الوباء

- **مفهوم الخصائص الفكرية:**

المراد بالخصائص الفكرية: المعاني والمناهج البحثية والاستدلالية التي يتميز بها المسلم في طريقة تفكيره وإعمال عقله في التعامل مع الوباء.

وذلك يشمل طريقة تفسير الوباء وبيان أسباب وقوعه، ويشمل أيضا طريقة رفع الوباء وعلاجه وأسباب مدافعته، ويشمل تلقي الأخبار والمعلومات المتعلقة به وكيفية ثبوتها.

ويمكن تحصيل أهم خصائص المسلم الفكرية في التعامل مع الوباء في الخواص التالية:

الخاصية الأولى: الإيمان بالتنوع السببي، ومعنى ذلك: أن العقل المسلم يؤمن بأن أسباب وقوع الوباء ليست منحصرة في الأسباب المادية فقط، ولا في الأسباب المعنوية الدينية فقط، وإنما يؤمن بأن الوباء يمكن أن يكون واقعا باجتماع كل تلك الأسباب.

فقد دلت النصوص الشرعية إلى أنّ الأسباب الموجبة لوقوع الأوبئة والأمراض متنوعة في طبيعتها، وبينت أنّ الأسباب قسمان:

القسم الأول: أسباب كونية، وهي الأسباب التي ترجع إلى فعل الإنسان وخبرته وعلمه الدنيوي.

وقد اهتمت النصوص الشرعية بالتأكيد على هذا النوع والدعوة إلى الالتزام به والأخذ بمقتضياته، فقد جاء ذكر مبدأ السببية في أكثر من ألف آية[1]، ومن حِكم هذا الكم الكبير من الإشارات الدلالية أن تتأكد قيمة الأخذ بمبدأ السببية في حياة المسلم.

يقول الدكتور عماد الدين خليل في أثناء حديثه عن تشكيل عقل المسلم المعاصر: «من خلال التمعن في نسيج كتاب الله نجد كيف منحت آياته البيانات العقل المسلم المعاصر رؤية تركيبية للكون والحياة والإنسان والوجود، تربط وهي تتأمل وتبحث وتعاين وتتفكر بين الأسباب والمسببات، تسعى إلى أن تضع يدها على الخيط الذي يربط بين الظواهر والأشياء في هذا الحقل أو ذاك، وفي هذه المساحة أو تلك، لقد أراد القرآن

(١) انظر: ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، بيروت-لبنان: دار المعرفة، د.ط، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م. (١/ ١٥٥).

الكريم أن يجتاز بالعقل العربي مرحلة النظرة التبسيطية المسطحة المفككة التي تعاين الأشياء والظواهر كما لو كانت متقطعة معزولة منفصلا بعضها عن بعض.

لقد تمكن القرآن بطَرْقِه المستمر على العقلية التبسيطية أن يعيد تشكيلها لتُبعث من جديد بالصيغة التي أرادها لها: عقلية تركيبية، تملك القدرة على الرؤية الاستشرافية التي تطل من فوق حشود الظواهر بحثا عن العلائق والارتباطات، ووصولا إلى الحقيقة المرتجاة.

بل إن إحدى طرائق القرآن المنبثة عبر سوره ومقاطعه من أقصاها إلى أقصاها هي «التأكيد على ضرورة اعتماد هذه الرؤية السببية للظواهر والأشياء»[(١)].

القسم الثاني: الأسباب الدينية، وهي الأسباب التي ترجع إلى الطاعات والمعاصي التي جعلها الشارع مؤثرة في الأحداث أو حُكم عليها بأنّها مؤثرة.

والأصل في هذا النوع أنه من الأمور الغيبية التي لا يعلمها البشر، ويكون الاعتماد فيها على إخبار الوحي المعصوم من الله تعالى؛ لأنها نوع من التشريع الذي لا يؤخذ إلا من الكتاب والسنة.

وقد دلت النصوص الشرعية على هذا النوع بأدلة كثيرة متنوعة؛ بعضها جاء بصيغة عامة، وبعضها جاء بصيغة خاصة.

فمما جاء في القرآن الكريم في الدلالة عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٩٦]، وقوله: ﴿ٱلْأَخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطَّلَاق من الآية ٢ الى الآية ٣] ، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الرُّوم الآية ٤١] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْۚ﴾ [المَائِـدَة الآية ٦٦] ، وقوله تعالى عن نوح وقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نُوح من الآية ١٠ الى الآية ١٢] وغيرها من الآيات.

ومما جاء في السنة النبوية من الدلالة عليه: قوله ﷺ: «ليشربنَّ ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير»[(٢)]، وقول

(١) عماد الدين خليل، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر، ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م. (٤٩).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات (٤٠٢٠)؛ والبيهقي في السنن، كتاب الأشربة والحد فيها، باب الدليل على أن الطبخ لا يخرج هذه الأشربة من دخولها في الاسم والتحريم إذا كانت مسكرة (١٧٣٨٣)؛ وصححه الألباني في صحيح ابن

النبي ﷺ: «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور»[(١)]، وقوله ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[(٢)]، والرزق هنا معنى عام يشمل كل ما ينتفع به الناس في دينهم ودنياهم[(٣)].

- **العلاقة بين الأصول الشرعية في تفسير الأحاديث:**

إذا ثبت أن كلا النوعين من الأسباب -الكونية والشرعية- قد دلت عليه النصوص الشرعية فإن معنى ذلك أنهما جزء من الشريعة، لا يجوز التفريط فيهما ولا إحداث التعارض بينهما، ويجب الاهتمام بهما، كل بحسب ما له من المنزلة الشرعية والواقعية.

فلا يجوز أن نفرط في الأسباب الكونية بحجة الاقتصار على الأسباب الدينية، ولا يجوز أن نفرط في الأسباب الدينية بحجة الاقتصار على الأسباب الكونية، فمن وقع في واحد من هذين الأمرين فقد خالف النصوص الشرعية ووقع في أمر منافٍ لأصولها وغاياتها.

والإيمان بهذا التنوع السببي يبين أنّ عقل المسلم يختلف عن غيره في تفسير الأوبئة والتعامل معها، فهو يتعامل مع الأوبئة بموازين واسعة ومختلفة في ماهيتها ونوعها عن الموازين التي يتعامل بها العقل الإنساني المجرد، وهذا يجعل تصوُّر المسلم للأوبئة وتفسيره لها وطريقة تعامله معها مختلفة عن غيره ممن لا يؤمن بذلك التنوع في الأسباب.

الخاصية الثانية: الإيمان بالتنوع الشفائي، ومعنى ذلك: أن العقل المسلم كما يؤمن بأن أسباب وقوع الوباء متعددة فكذلك يؤمن بأن أسباب رفع البلاء وإزالته والشفاء منه متعددة، فكما أن أسباب وقوع الوباء قد تكون كونية وقد تكون دينية، فكذلك أسباب رفعه.

وقد دلت النصوص الشرعية على أن أسباب إزالة الوباء والشفاء منه بعد وقوعه في الناس منقسمة إلى قسمين:

القسم الأول: الأسباب الكونية، ومفهومها لا يختلف عن مفهوم الأسباب الكونية في حالة وقوع الوباء.

ماجه (٣/ ٣١٧) برقم (٤٠٩٢).

(١) رواه أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٥٢١) وعنده أصل الحديث؛ والترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف (٢٢١٢) واللفظ له؛ وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الخسوف (٤٠٦٠)؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٠٣).

(٢) رواه أحمد، تتمة مسند الأنصار، من حديث ثوبان (٢٢٣٨٦)؛ وابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات (٤٠٢٢)؛ وابن حبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية (٨٧٢) وصححه.

(٣) انظر: الطيبي، الحسين بن محمد، شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٢هـ=١٩٩١م. (١٠/ ٣١٦٤).

ومن النصوص الشرعية الدالة على هذا النوع وضرورة الاهتمام به: ما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داء إلاّ أنزل له شِفاء»[١].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت:١٣٧٦هـ-١٩٥٦م) تعليقا على هذا الحديث: «عموم هذا الحديث يقتضي: أنّ جميع الأمراض الباطنة والظاهرة لها أدوية تقاومها، تدفع ما لم ينزل، وترفع ما نزل بالكلية، أو تخففه. وفي هذا: الترغيب في تعلم طب الأبدان، كما يتعلم طب القلوب، وأنّ ذلك من جملة الأسباب النافعة. وجميع أصول الطب وتفاصيله شرح لهذا الحديث؛ لأنّ الشارع أخبرنا أنّ جميع الأدواء لها أدوية. فينبغي لنا أن نسعى إلى تعلُّمها، وبعد ذلك إلى العمل بها وتنفيذها. وقد كان يظن كثير من الناس أنّ بعض الأمراض ليس له دواء، كالسُّل ونحوه. وعندما ارتقى علم الطب، ووصل الناس إلى ما وصلوا إليه من علمه، عرف الناس مصداق هذا الحديث، وأنّه على عمومه»[٢].

فنفسية المسلم في بحثه عن الدواء والتنقيب عنه تتصف بقوة الأمل وسعة الرَّجاء؛ لإيمانه بأنّه موجود، وإيمانه بأنّ الله كما أنزل الوباء فقد أنزل معه دواءه وعلاجه.

نعم، غير المسلم قد يبحث عن الدواء ولايكون يائسا، ولكنْ هناك فرق بين من يبحث عن الدواء ولايدري أله وجود أم لا؟ وبين من يبحث عن الدواء وعنده علم بأنّه موجود ولكن عليه التنقيب عنه.

وفي بيان أثر هذا الإيمان على نفسية المريض والطبيب يقول ملا علي قارئ (ت:١٠١٤هـ-١٦٠٦م): «اعلم أنّ في هذه الأحاديث تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثًا على طلب الدواء وتخفيفًا للمريض، فإنّ النفس إذا استوثقت أنّ لدائها دواء يزيد قوى رجائها، وانبعث حارها الغريزي، فتقوى الروح النفسانية والطبيعية والحيوانية بقوة هذه الأرواح، وتقوى القوى الحاملة لها فتدفع المرض وتقهره»[٣].

القسم الثاني: الأسباب الدينية، ومفهومها لا يختلف عن مفهوم الأسباب الدينية في حالة وقوع الوباء.

فقد دل قدر مستفيض من النصوص الشرعية على عدد من الأمور الدينية التي جعلها الله بالوحي المطهر من أقوى أسباب رفع البلاء عن الناس بعد نزوله، ومن تلك الأمور:

الأمر الأول: الدعاء، ويدل عليه كل ما جاء في الترغيب فيه وفي أنه مما يستجلب به فضل الله ورحمته، ومن أخص ما له علاقة بموضوعنا قوله ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها لنا،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (٥٦٧٨).

(٢) السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، السعودية: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م. (١٤٧).

(٣) ملا علي قارئ، أبو الحسن، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح المصابيح، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م. (٧/ ٢٨٦٠).

وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها، واجعلها بالجحفة»[١].

وقد أنكر الله تعالى على الكفار بأنهم لا يدعون الله حين ينزل بهم البلاء، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ٤٣]، يقول الطبري (ت:٣١٠ه-٩٢٣م): «تأويل الكلام إذن: فهلا إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها الذين لم يتضرعوا عندما أخذناهم بالبأساء والضراء، تضرعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته، فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه»[٢].

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المُؤْمِنُون الآية ٧٦] ، وغيرها من الآيات.

وذكر الله أن الدعاء بعد نزول البلاء من سنن الأنبياء، كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأَنبِيَاء من الآية ٨٣ الى الآية ٨٤].

يقول ابن تيمية (ت:٧٢٨ه-١٣٢٨م): «الدعاء سبب يدفع البلاء، فإذا كان أقوى منه دفعه، وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه، ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق»[٣]، يقول ابن القيم (ت:٧٥١هـ-١٣٥٠م): «الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدوّ البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل»[٤].

الأمر الثاني: الصدقة، وهي ليست منحصرة في الصدقة بالمال، وإنما هي معنى عام يشمل كل صنائع المعروف إلى عباد الله، من بر، أو صدقة، أو إعانة على قضاء حاجة، من شفاعة، أو تحمل دَين، أو غير ذلك مما ينتفع به الناس، ومما يدل عليها النصوص التي جاءت في ثواب الإحسان، كما في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرَّحْمَٰن الآية ٦٠]، وقوله تعالى:﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة (٣٧٢٤)؛ وروى البخاري نحوه في صحيحه وبوب عليه بابا، قال فيه: «باب من دعا برفع الوباء والحمى»، كتاب المرضى، برقم (٥٦٧٧).

(٢) الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م (٩/ ٢٤٣).

(٣) ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م. (٨/ ١٩٦).

(٤) ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المغرب: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م. (١٠).

وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٦]، يقول الطبري (ت:٣١٠هـ-٩٢٣م) في معنى هذه الآية: «إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا قريب منهم»[(١)].

ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة»[(٢)].

وإيمان المسلم بهذه التنوع في أسباب رفع الوباء وإزالته يجعل حاله مختلفا عن حال غيره ممن لا يؤمن بذلك التنوع؛ فالمسلم كما أنه يحرص على الأسباب المادية التي تزيل عنه الوباء فهوفي الوقت نفسه يحرص على الأسباب المعنوية الدينية التي لها أثربليغ في رفع الوباء الذي حل به.

فكما أن تفسيره للوباء يتصف بسعة الأفق وتعدد الموازين، فكذلك سعيه في إزالة الوباء يتصف بسعة الأفق وتعدد الموازين، فيظهر بذلك تميز عقل المسلم وامتياز تفكيره عن غيره.

الخاصية الفكرية الثالثة: انغلاق مداخل الخرافة والأساطير والشائعات، ومعنى ذلك: أن عقل المسلم متيقظ في زمن الوباء، لا يعتمد إلا على الطرق الموثوقة الصحيحة في تلقي الأخبار عن مجريات الوباء، ولا يتوجه عقله إلى المنافذ المنحرفة في أخذ العلوم وبناء المواقف، فلا يعتمد المسلم على الكهانة ولاالعرافة ولاالتنجيم ولاالتطيرولاغيرها من الطرق الخرافية الباطلة, ولايعتمد على الشائعات والأخبار المرسلة التي لا دليل عليها.

فالمسلم في أوقات الأزمات والأوبئة لا يتعلق بالخرافات ولا بالأوهام ولا بالأخبار الكاذبة، ولا يذهب إلى السّحرة والكُّهان، ولا يتوجَّه إلى القبور ولا الأولياء الأموات، وإنّما يتعلق بالله تعالى ويتوكَّل عليه ويعمل بالأسباب الكونية المعتبرة التي يمكن التحقق منها.

- **ومن أقوى موجبات هذه الخاصية عند المسلم أمران:**

الأمر الأول: الأمر الصريح بالتثبت والتأكد في تلقي الأخبار، كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ [الحُجُرَات الآية ٦].

الأمر الثاني: النهي الصريح عن التطيروالكهانة وغيرهما، كما في قوله ﷺ: «لا عدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر، وفِر من المجذوم كما تفر من الأسد»[(٣)]، ويقول ﷺ: «ليس منّا من تَطير أو تُطير له، أو تَكهن أو

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٠/٢٥٠).

(٢) رواه ابن زنجويه في الأموال، كتاب الصدقة وأحكامها وسننها، باب فضل الصدقة والثواب في إعطائها (١٣١١)؛ والحاكم في المستدرك، كتاب العلم، فصل في توقير العالم (٤٢٩)؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥٣٥) في الكلام على حديث رقم (١٩٠٨)، وللحديث ألفاظ أخرى.

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الجذام (٥٧٠٧).

تُكهن له»[١].

فإيمان المسلم بهذه التوجيهات يجعل عقله في التعامل مع الأوبئة -التي في الغالب ما تطيش فيها عقول كثير من الناس وتضطرب وتذهب كل مذهب- تعاملا منضبطا مستقيما واعيا متصفا بالهدوء والدقة.

الخاصية الفكرية الرابعة: استحضار خواص الأوبئة، ومعنى ذلك: أن المسلم بناء على إيمانه بالوحي المنزل وما فيه من إرشادات وتنبيهات يؤمن بأن بعض الأوبئة لها خواص في الانتقال والعدوى لا بد أن يراعيها ويحسب لها حسابها في التعامل مع ما نزل به من وباء.

فمع أن النصوص الشرعية الواردة في العدوى جاءت بما يشعر في ظاهره التعارض إلا أن الصحيح في معناها أن النصوص التي فيها نفي العدوى، كحديث: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر»[٢]، محمولة على ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن بعض الأمراض تنتقل بنفسها، وليس المراد بها نفي أصل العدوى[٣]، وفي بيان ذلك يقول ابن القيم (ت:٧٥١هـ-١٣٥٠م):»هذا يحتمل أن يكون نفيا وأن يكون نهيا، أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «لا عدوى ولا صفر ولا هامة»، يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهى؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهى إنما يدل على المنع منه»[٤].

والفرق بين المسلم وبين غيره في الإيمان بخواص بعض الأمراض وأنها تتصف بإمكان العدوى: أن تسليم المسلم ليس قائما على مجرد التجربة المحضة، وإنما هو تسليم مشوب ببعد إيماني، يتضمن الإقرار بقدرة الله وتدبيره للكون، والرجاء في الثواب والعطاء من عند الله تعالى.

(١) رواه البزار في مسنده، مسند عبد الله بن بسر، أول حديث عمران بن حصين (٣٥٧٨)؛ وجوّد إسناده عدد من العلماء، وانظر: السلسلة الصحيحة، الألباني (٥/ ٢٢٨) برقم (٢١٩٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الجذام (٥٧٠٧)؛ ومسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة (٢٢٢٠).

(٣) انظر في تفصيل الخلاف في هذه المسألة: سليمان الدبيخي، أحاديث العقيدة التي ظاهرها التعارض في الصحيحين، السعودية: مكتبة دار البيان الحديثة، ط١، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م. (١/ ٧٥-١٠٤).

(٤) ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت. (٢/ ٢٣٤).

المبحث الثاني

الخصائص الاعتقادية للمسلم في التعامل مع الوباء

- **مفهوم الخصائص القلبية:**

المراد بالخصائص الاعتقادية: المعاني والأحوال التي تقوم بقلب المسلم في تعامله مع الوباء وتجعله متميزا عن غيره.

وهذه الخصائص تشمل ما يتعلق بقوته وعزيمته، وما يتعلق بارتياحه وطمأنينته، وما يتعلق برجائه وتطلعاته في زمن نزول الوباء.

وإنما عُبر هنا بمصطلح الاعتقادية ولم يعبر بمصطلح الإيمانية؛ لأن مصطلح الإيمان أوسع مما يقوم في القلب، فهو عند أهل السنة حقيقة مركبة من القلب وأعمال الجوارح، ولأجل هذا فالخواص العملية الآتي ذكرها تدخل في حقيقة الإيمان أيضا.

ويمكن تحصيل أهم خصائص المسلم القلبية في التعامل مع الوباء في خمس خواص:

الخاصية الأولى: الثبات وعدم اليأس، ومعنى ذلك: أن قلب المسلم يتصف بالثبات والاستقرار في تعامله مع الوباء؛ لأنه يعلم أن كل شيء مقدر ومكتوب، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلا يتخلل قلبه الشك ولااليأس وفقدان الأمل في العافية مهما كان الوباء عاتيا أو مستحكما.

وموجبات الثبات في قلب المسلم متعددة، من أهمها:

الموجب الأول: الإيمان بسبق القدر، فالمسلم يؤمن بأن كل شيء قد قدره الله وكتبه في اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القَمَر الآية ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ۝٣٨﴾ [الأَنْعَام الآية ٣٨] ، فهذه الآيات وغيرها تدل على أن كل شيء مقدر ومكتوب عند الله تعالى.

الموجب الثاني: الإيمان بحكمة الله، فالمسلم مع إيمانه بقضاء الله وقدره فهو يحكم بأن الله تعالى متصف بالحكمة البالغة الباهرة التي لا يمكن للناس إدراك تفاصيلها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١﴾ [النِّسَاء الآية ١١] ، وغيرها من الآيات، يقول الحليمي (ت:٤٠٣هـ-١٠١٢م) في بيان معنى اسم الله الحكيم، وهو معنى مريح للمسلم ومثبت له ودافع لليأس عن قلبه: «الحكيم: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن. ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا

من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير»[١].

الموجب الثالث: الإيمان بسعة رحمة الله، فالمسلم مع إيمانه بقضاء الله وقدرته وإيمانه بحكمته البالغة يؤمن بأن الله تعالى يتصف بالرحمة الواسعة، وأنه سبحانه أرحم بالعباد من أنفسهم.

فمن أخص أسماء الله تعالى التي تطرق سمع المسلم في كل لحظة وحين اسم الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى: ﴿رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٥٦] ، ويقول النبي ﷺ في بيان سعة رحمة الله: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي»[٢].

وهذه المعاني تفيض على قلب المسلم أجمل معاني الثبات والقوة في زمن نزول الوباء، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي (١٣٧٦هـ-١٩٥٦م) في بيان أثر الإيمان بسعة رحمة الله على نفوس المسلمين: «والأمل بالرب الكريم، الرحمن الرحيم، أن يرى الخلائق منه، من الفضل والإحسان، والعفو والصفح والغفران، ما لا تعبر عنه الألسنة، ولا تتصوره الأفكار، ويتطلع لرحمته إذ ذاك جميع الخلق لما يشاهدونه فيختص المؤمنون به وبرسله بالرحمة.

فإن قيل: من أين لكم هذا الأمل؟ وإن شئت قلت: من أين لكم هذا العلم بما ذكر؟

قلنا: لما نعلمه من غلبة رحمته لغضبه، ومن سعة جوده، الذي عم جميع البرايا، ومما نشاهده في أنفسنا وفي غيرنا، من النعم المتواترة في هذه الدار، وخصوصا في فصل القيامة، فإن قوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه الآية ١٠٨] ۞ ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه الآية ١٠٩] ، مع قوله: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الفُرْقَان الآية ٢٦] ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرْقَان الآية ٢٦] ، مع قوله ﷺ: «إن لله مائة رحمة أنزل لعباده رحمة، بها يتراحمون ويتعاطفون، حتى إن البهيمة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تطأه، أي: من الرحمة المودعة في قلبها، فإذا كان يوم القيامة، ضم هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة، فرحم بها العباد، مع قوله ﷺ: «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»، فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبته، وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجل من هو غني عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين»[٣].

---

(١) نقله عنه البيهقي في الأسماء والصفات (١/٦٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم الآية ٢٧] (٣١٩٤).

(٣) السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م. (٥١٣).

الموجب الرابع: الإيمان بكفاية الله لمن يتوكل عليه، فالمسلم مع إيمانه بالقدرة وبالحكمة والرحمة الإلهية يؤمن بأن الله لا يخيب من توكل عليه ولا يخذل من فوض أموره إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق الآية ٣] ، أي: كافيه ومعينه، ومن أسماء الله تعالى: الكافي، ومعناه كما قال الخطابي: «أما الكافي: فهو الذي يكفي عباده المهم، ويدفع عنهم الملم؛ وهو الذي يكتفى بمعونته عن غيره، ويستغنى به عمن سواه»(١).

الموجب الخامس: الإيمان بلطف الله، فالمسلم مع تسليمه للقضاء والقدر وتوكله على الله وإيمانه بحكمة الله ورحمته فهو يؤمن بأن الله لطيف بعباده ورفيق بهم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشُّورَى الآية ١٩] ، ومظاهر لطف الله بعباده لا حصر لها، وفيما له خصوص بالوباء يقول الخطابي: «اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون»(٢).

فهذه الموجبات وغيرها من أقوى ما يعزز الثبات في قلوب المسلمين حين نزول الوباء، ويقطع عنهم منافذ اليأس والقنوط وفقدان الأمل في الشفاء والتخلص مما نزل به من وباء.

الخاصية الثانية: الأمان والطمأنينة، ومعنى ذلك: أن المسلم يجمع مع ثبات القلب وقوته الشعور بالأمان والطمأنينة؛ فلا يتسلل إلى قلبه الخوف ولا الاضطراب.

والفرق بين الثبات والأمان أنه لا يلزم من ثبات القلب أن يكون آمنا، فقد يحصل له الثبات من غير الشعور بالأمن والطمأنينة بما يدبر له، وضد الثبات الشك والتردد وضد الأمان الخوف والاضطراب.

وموجبات الأمان في قلب المؤمن في التعامل مع الوباء هي نفسها موجبات الثبات وعدم اليأس، ويزاد عليها إيمان المسلم بأن الله تعالى هو الشافي كما في قوله ﷺ إذا أتى مريضا: «أذهب الباس، رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك»(٣)، ومعنى هذا الحديث: أن الشفاء لا يكون إلا بيد الله تعالى وبحكمته وقدرته، وأن الجهود التي يبذلها الناس إنما هي أسباب يقدر الله بها الشفاء لمن شاء.

الخاصية الثالثة: قوة الرجاء، ومعنى ذلك: أن المسلم مع أنه يصاب كغيره بالأمراض والأوبئة إلا أنّه مع إصابته يظفر بالأجور الكثيرة التي لا حدود لها مع صبره على ما أصابه.

---

(١) الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط٢، ١٤١٢هـ =١٩٩١م. (١٠١).

(٢) المصدر نفسه (٦٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض (٥٦٧٥)؛ ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض (١٢٩١).

وموجبات قوة الرجاء في قلب المسلم عند نزول الوباء متعددة، منها:

الموجب الأول: الوعد بالأجر الكبير على الصبر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر الآية ١٠]، ومعناه: أن الصابر على البلاء يُعطى أجره بغير حدٍ ولا عد ولا مقدار[١].

ثم مفارقة كبير بين شخصين يصابان بالمرض نفسه، أحدهما يؤمن بأنّه إن صبر على هذا المرض سيظفر بأجر لا عدّ له ولا حد ولا مقدار، والآخر لا يؤمن بهذا الجزاء، فكيف يكون حاله؟! وكيف تكون نفسيته؟! سيكون في غاية التألم والحسرة وغاية التحطم والانكسار.

وأمّا المسلم فيجد السّلام في وعد ربّه، والأنس فيما ينتظره من الخير عند خالقه، فحال المسلم مع الوباء ونفسيته تختلف كل الاختلاف عن الإنسان المادي الجاهلي الذي لم يطرق سمعه الوعد بتلك الأجور العظيمة.

الموجب الثاني: الإشارة إلى تنوع الحكمة في نزول الوباء، وأنه قد يكون عقوبة وقد يكون كفارة للذنوب وقد يكون رفعة للدجات، فالمعنى الذي يدل عليه مجموع النصوص الواردة في المصائب والبلاءات أنه يمكن أن تكون متنوعة على التنوع الثلاثي السابق، فقد يكون بعضها رفعة للدرجات يوم القيامة، كما في قوله ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده»[٢]، وقد يكون بعضها تكفيرا للسيئات، كما في قوله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه»[٣].

وفي تأكيد هذا المعنى يقول ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ-١٣٢٨م): «المصائب المقدرة في النفس والأهل لا تخلو من ثلاثة أحوال: إما أن تكون كفارة، وإما أن تكون زيادة في الأجرة والثواب، وإما أن تكون عقابا وانتقاما»[٤].

وبناء عليه فإنه ليس كل ما يصاب به الإنسان يكون عقوبة له، بل قد يصاب ابتلاء وامتحانا، وقد يصاب لتكثير أجره، ومن ذلك ما أصيب به النبي ﷺ من أمراض وبلاء.

وإدراك المسلم لهذه القضية مما يقوي الرجاء في قلبه في أثناء الوباء ويشعره بأنه خير له على كل حال.

الموجب الثالث: الوعد باستمرار أجور الأعمال التي كان يعملها في أثناء صحته، كما في قوله ﷺ: «إذا

---

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٢٠).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب (٣٠٩٠)؛ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ١٨٩) في الكلام على الحديث رقم (٢٥٩٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١).

(٤) ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م. (٣/ ٨٢٢).

مرض العبد أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا»[1].

فالمسلم إذا نزل به البلاء وتعطل عن الأعمال التي كان يعملها قبل نزوله لا يشعر بالخسران؛ لأن الوحي المطهر أخبره بوعد الله له بأنه سيكتب كل أجور تلك الأعمال التي تعوّدها.

الخاصية الرابعة: تحقق الاتساق العقدي، فالمسلم يوقن بأنّ ربّه وخالقه مدبّر لكلِّ شيء، وأنّه لا راد لقضائه ولا معقب لأمره، وأنّه فعالٌ لما يريد، وأنّه الذي بيده ملكوت كلِّ شيء، وأنّه القوي القادر الذي لا يقف أمام قدرته شيء، وأنّ الإنسان مهما تطور وارتقى، فإنّه يبقى ضعيفًا أمام قدرة الله وتدبيره، وغير ذلك من المعاني العظيمة المتعلقة بعظمة الله تعالى وجلاله وملكوته.

وظهور الوباء في حياة الناس زاد من ظهور تلك المعاني وأبانها للغافلين، ومن أقوى الآيات التي جاءت في هذا السياق في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُونُس الآية ٢٤]. فهذه الآية تبيّن حال كثير من المجتمعات البشرية الجاهلية، فإنّها قد انفتحت عليهم الدنيا، وشيَّدوا فيها ما يرونه مُسعدًا لهم، وظنوا أنّ كلّ شيء بأيديهم، وأنّه لا ضرر سيأتيهم ولا مرض سيحلُّ بهم. فبين عشية وضحاها تغيرت الأحوال، فبات كثير من الناس خائفًا يترقب، وهذا يدل على ضعف الإنسان وعظمة خالقه المدبّر لهذا الكون.

فالمسلم لا يجد في وقوع الوباء أمرًا مُناقضًا لعقيدته في قدرة ربّه وإخباره عن جبروته، بل يجد فيها منبعا لقوة الإيمان بالله، وسببًا لشدة التعلق به والتصديق بربوبيته وتدبيره وحكمه، وبرهاناً على ضعفه وفقره إلى ربه وخالقه، فيتحوَّل الوباء في حق المسلم إلى موعظة بليغة ودعوة عميقة ومنبعًا للرّاحة واليقين بصحة اعتقاده في خالقه.

الخاصية الخامسة: قوة الأمل والتفاؤل، ومعنى ذلك: أن المسلم يتربى مع نصوص الوحي على قوة الأمل بالخروج من أزمة الوباء وعلى انفتاح أبواب التفاؤل أمام عينيه، وهذا المعنى من أعظم ما يقوي نفسية الإنسان في زمن الشدائد ومن أعلى ما يشد من أزره ويقوي من عزيمته.

فإن من أعظم ما يحتاج إليه الناس في أوقات الأزمات والأوبئة: بث معاني الفأل والأمل في الحياة وفي تجاوز الصعاب.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة (٢٩٩٦).

وقد كان من هدي النبي ﷺ أن يبث الأمل في الأحوال التي تحل فيها الأزمات وينشر التفاؤل عند من يراه متأثرا بالشدائد التي حلت به، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها. قال: فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله -قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعّار طيئ الذين قد سعروا البلاد؟-، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى. قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه»[(١)].

فمن أقوى موجبات قوة الأمل والتفاؤل في زمن الأوبئة أن المسلم يتأسى برسوله ﷺ، فيوسع باب التفاؤل في نفسه وينشر الأمل فيمن حوله من الناس.

ومن موجبات قوة الأمل والتفاؤل في نفس المسلم إدراكه بأن كل ما ينزل به خير له لا محالة، كما في قول النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[(٢)].

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٩٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأدب، باب المؤمن أمره كله خير (٧٦١٠).

المبحث الثالث

الخصائص العملية للمسلم في التعامل مع الوباء

- **مفهوم الخصائص العملية:**

المراد بالخصائص العملية: الأعمال والتصرفات التي يختص المسلم بامتثالها في أثناء نزول الوباء.

وهذه الخصيصة تشمل الأعمال والتصرفات التي يقوم بها المسلم مما يتعلق بنفسه أو بغيره من الناس، فهي خصيصة شاملة لكل من له بالمسلم علاقة وارتباط.

ويمكن تحصيل أهم الخصائص العملية للمسلم في التعامل مع البلاء في خمس خواص:

الخاصية الأولى: الاندفاع نحو التعاون الاجتماعي، ومعنى ذلك: أن المسلم في أثناء نزول الوباء يندفع بقوة نحو بذل المعروف ومساعدة المحتاجين، وتنبع من داخله كوامن العطاء والإحسان بما لا يكاد يوجد عند غيره من الناس.

والمسلم في اندفاعه للعطاء والبذل يجمع بين المعاني الفطرية الإنسانية والمعاني الإيمانية العبادية، فهو يقوم بما يقوم به من الإحسان لما يجد في قلبه من الرحمة والرأفة ولما ينتظره من الأجر والثواب عند الله تعالى، فيتصف عطاؤه وإحسانه بالرحمة والتواضع والسعة.

- **وموجبات قوة اندفاع المسلم نحو التعاون والإحسان والعطاء متنوعة، من أهمها:**

الموجب الأول: الوعد بالرحمة، وذلك في قوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[1]، وهذا الحديث فيه أمر بالرحمة بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر والناطق والبهم والوحوش والطير[2].

والأمر بالرحمة جاء في عدد من النصوص الشرعية، وهو من أقوى الدوافع التي تبعث في نفوس المسلمين حب الخير للناس وعطائهم والبذل لهم.

الموجب الثاني: الوعد بالمكافأة الدنيوية والأخروية، كما في قوله ﷺ: «من نفَّس عن مُؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر

(١) رواه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين(١٩٢٤)، وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) انظر: الطيبي، شرح مشكاة المصابيح (١٠/٣١٨٥).

مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عَون أخيه»[١].

فهذه الموجبات وغيرها لها أثر بليغ في غرس روح التعاون في نفوس المسلمين ودفعهم إلى البذل والعطاء والإحسان، وقد تفنَّن الدارسون كثيرًا في بيان كيفية بناء الإسلام للمجتمعات الإنسانية، وأكدوا على أنّ من أخص مميزات المجتمع المسلم ظهور معالم التعاون والنفع والتّراحم فيه في كلِّ الأوقات وفي الأزماتِ خاصة.

وعطاء المسلم وبذله ليس خاصا بأهل دينه، بل يتجاوز ذلك إلى المختلفين معه في الدين المسالمين، ممن لا يحارب المسلمين ولا يسعى في أذاهم، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [المُمْتَحنَة الآية ٨] ، يقول القرطبي تعليقا على هذه الآية: «ظواهر هذه الآيات تقتضي جواز صرف الصدقات إليهم جملة، إلا أن النبي ﷺ خص منها الزكاة المفروضة... واتفق العلماء على ذلك على ما تقدم، فيدفع إليهم من صدقة التطوع إذا احتاجوا»[٢].

ومن أفضل من تحدّث عن طبيعة المجتمع المسلم وروح التعاون فيه الشيخ محمد أبوزهرة (ت:١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)، حيث يقول: «المجتمع في الإسلام مجتمع معنوي، أي: إنّ العلاقات الاجتماعية فيه تُبنى على الروابط الأدبية من توادٍّ وتراحم، لا على أساس العلاقات المادية فقط... ومَثَلُ المجتمع المادي الذي يُبنى على الاقتصاد أو على الاجتماع في مكان كمثل الأحجار المتراصّة التي يجاور بعضها بعضًا من غير ارتباط وثيق بين أجزائها، وإنّه مهما يكن فيه من تنسيق هندسي لا يمكن أن يكون متلاحمًا متّصلا، وأنّه ينهار لأقل عاصفة تثور، ولا يستمر مُجتمِعا إلا إذا كان مهندس البناء قوَّاما عليه يتتبع ثغراته، فيسارع بسدّ ما يظهر منها بعمل مادي أيضًا.

أمّا المجتمع المعنوي فإنّه يقوم على أساس من العلاقات الروحيّة الرابط بين أجزائه، وهو متماسك غير قابل لأن تتداعى لبناته؛ لأنّه مترابط الأجزاء بما لا يقبل الانقطاع ما دام يغذى بالروح وبالدين، قد يكون غير منسق اقتصاديا أو هندسيا ولكنّه قوي مَتين»[٣].

ولأجل هذه الروح ظهرت في المجتمع الإسلامي حملات التّبرع للفقراء والمساكين في زمن هذا الوباء، تابع الأخبار وانظر في مواقع التواصل الاجتماعي تجد أنباء التبرع في كل مكان.. في الكويت وفي الجزائر ومصر وفلسطين والسعودية وفي كلِّ مكان.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٦٩٩).

(٢) القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م. (٣/ ٣٣٨).

(٣) محمد أبوزهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الدار السعودية للنشر، ط١، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م. (١٢١).

إنّ هذا التَّداعي لا يمكن أن يكون إلا إذا وُجد منبع واحد ينطلق منه هؤلاء الناس المتباعدون في بلدانهم، إنّه أصل الإسلام ونور الوحي الذي غرس فيهم حب الخير للناس وعزَّز في نفوسهم التّوجه إلى إعانة المحتاجين ورفع الكرب عنهم.

وفي المقابل انظر إلى المجتمعات الماديّة الجاهلية، فإنّ كثيرًا منهم ما إن حلّت الأزمة ببلادهم إلاّ وأخذوا بالانكفاء على أنفسهم، بل أخذوا يُصارعون على الاستحواذ على أكبر قدر ممكن من المعيشة ليخزّنوها في بيوتهم من غير تفكير منهم بأن يعينوا جائعًا أو يطعموا مسكينًا أو يقضوا حاجة مُحتاج.

الخاصية الثانية: الابتعاد عن الشماتة والتشفي، والمراد بالشماتة: الفرح بما ينزل بالمشموت به من البلاء[(١)]، ومعنى ذلك: أن المسلم لا يفرح بنزول الوباء بغيره من الناس، ولو كانوا على غير دينه ممن ليسوا من المحاربين، فلا يجوز للمسلم أن يشمت بأحد من الناس ولا أن يظهر السرور بما نزل به.

والشماتة بهذا المعنى إما أن تكون باستخفاف وسخرية وإما ألا تكون بذلك، فإن كانت باستخفاف وسخرية فلا يجوز مطلقا؛ لأن المسلم منهي عن السخرية والاستخفاف، وإن كانت بغير سخرية ولا استخفاف، ففيها تفصيل.

فإن كان المصاب بالوباء من المسلمين فحق الأخوة الإيمانية يمنع الشماتة والتشفي به، وقد قال النبي ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[(٢)].

وإن كان من الكافرين، فكفره مع عظمه وقبحه لا يبيح الشماتة به والتشفي إلا إن كان عدوا مظهرا للعداوة وساعيا إلى قتل المسلمين والقضاء عليهم.

وقد نزلت مصائب وبلاءات بالمشركين في زمن النبي ﷺ كالفقر ونقص الأموال، ومع ذلك لم يظهر الشماتة بهم ولا التشفي، وإنما تعامل بما يوجبه الموقف الشرعي من الدعوة إلى الله تعالى والحرص على الهداية وغيرها من صور الإحسان والعطاء.

ومع ذلك قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التَّوْبَة الآية ١٤] ، أي: ويُزِل ما في قلوب المؤمنين من الحنق والغيظ الذي سبب لهم الضيق والحزن[(٣)].

---

(١) انظر: ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م. (٢/ ٤٩٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم (٢٥٦٤).

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن (١١/ ٣٦٩).

ومن ذلك ما قاله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين (يعني: أثخن فيهم وعمل فيهم عمل النار)، فقال له النبي ﷺ: «ارم فداك أبي وأمي». قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه فسقط، فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ، حتى نظرت إلى نواجذه»[(١)].

فمجموع الأدلة الشرعية يدل أن إظهار الفرح بما يصيب الكفار ليس من صفات المسلمين إلا في حق من كان متعديا على المسلمين منتهكا لحرماتهم.

الخاصية الثالثة: الحرص على الوقاية، ومعنى ذلك: أن المسلم حريص على ألا يصاب بالوباء وأن يبعد عن كل ما يؤدي إلى نقله إليه أو إلى غيره.

فالمسلم مع إيمانه بأن كل شيء مكتوب ومقدَّر، إلاّ أنّه مع ذلك يحرص على العافية والسّلامة ويسعى إليها، فالإيمان بالقدر لا يعني أنّ المسلم لا يحتاط لصحته في أوقات الأزمات ولا يسعى للسّلامة من الإصابة بالأمراض والأوبئة.

وموجبات الحرص على الوقاية من الوباء عند المسلم متعددة، منها:

الأمر الأول: النهي عما يؤدي إلى التهلكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة الآية ١٩٥] ، وهذا نهيٌ عام يشمل كل ما يُدخِل الضرر على المسلم في دينه ودنياه.

وفي بيان عموم هذا الأمر وشموله كل مكونات الحياة يقول السعدي (ت:١٣٧٦هـ-١٩٥٦م): «الإلقاء باليد إلى التَّهلكة يرجع إلى أمرين: ترك ما أُمر به العبد، إذا كان تركه موجبًا أو مقاربًا لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح، فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك: ترك الجهاد في سبيل الله أو النفقة فيه، الموجب لتسلط الأعداء، ومن ذلك: تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مَسبعَة أو حيّات، أو يصعد شجرًا أو بنيانا خطرًا، أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك، فهذا ونحوه ممن ألقى بيده إلى التهلكة»[(٢)].

الموجب الثاني: تعظيم العافية والدعاء بالمحافظة عليها، كما في قوله ﷺ: «سَلوا الله العفو والعافية؛ فإنّ أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية»[(٣)]، وكان من دعائه ﷺ: «اللّهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (٢٤١٢).
(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٠).
(٣) رواه أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين، مسند أبي بكر الصديق (٣٤)؛ والترمذي، أبواب الدعوات (٣٥٥٨)؛ والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، مسألة المعافاة (١٠٦٥١)؛ وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢٤٨٩).

لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها اللّهم إنّي أسألك العافية»[١]، والمراد بالعافية السلامة من الأسقام والأمراض[٢].

فليس من مقاصد الإسلام أن يقع المسلم في الوباء؛ فقد يصبر وقد لا يصبر، وليس من مقاصد الإسلام أن يخرج الناس عن الحالة الطبيعية لهم من الصحة والعافية، فالأصل في التشريع والعبادة لله تعالى أنّها قائمة على الحالة الطبيعية للبشر، وإن كانت الحالة الخارجة عن الأصل لها عبادات وتشريعات تخصُّها ولكنّها استثناء وليست هي الأصل.

الموجب الثالث: تشريع الحجر الصحي عند الأوبئة المعدية، فقد جاء الإسلام بالعزل الصحي في زمن الأوبئة المعدية، وما ذلك إلا لأنّ الإسلام يُعظِّم العافية ويسعى إلى تحقيقها في واقع الناس، فكما أنّ الإسلام يهتم في تشريعاته بدين الناس فإنه يهتم أيضًا بما يتعلق بدنياهم وصحتهم وعافيتهم.

ومن النصوص الدالة على معنى الحجر الصحي قوله ﷺ عن الطاعون: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»[٣].

نعم، غيرُ المسلم يهتم بالعافية ويحرص على سلامة جسمه من الأمراض، ولكن هناك فرق بين من يندفع إلى هذا الأمر لمجرد أنّه أمر حياتي، ويبن من يندفع إليه على أنه أمر يحبه الله ويأمر به ويدفع إليه، ويرتِّب عليه الثواب ويعاقب المفرط فيه، فمع كون الحرص على العافية أمرًا فطريًا إلا أنّ الإسلام أضاف إليه بُعدا تعبديا، فأضحى فِعلا متعدد الجوانب والفوائد في حق المسلم.

الخاصية الرابعة: العدل عند تزاحم الحقوق في العلاج، ومعنى ذلك: إذا تزاحمت الحالات المصابة بالوباء المعدي أو القاتل، بحيث إن الدواء لا يمكن أن يكون لجميع المصابين ولا بد أن يقدم بعضهم على بعض، فمن الذي يقدم؟ وما المعايير التي يعتمد عليها في التقديم؟

فالمسلم في مثل هذه الحالة يعتمد على قواعد وأصول مأخوذة من نصوص الكتاب والسنة وتقريرات الفقهاء تحقق له العدل في عمله، وتجعله متميزا عن غيره في عمله.

وأهم القواعد التي يمكن أن يعتمد عليها المسلم في تحقيق العدل «حالة التزاحم» وهي موجبة لتحقيق تلك الخاصية، ويمكن تحصيلها في أربع قواعد[٤]:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٧١٢) وغيره.

(٢) انظر: الطيبي، شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٣٩٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٥٧٢٨).

(٤) انظر في شرح هذه القواعد: طارق العنقاوي، رؤية شرعية حول التزاحم على الموارد الطبية، موقع أثارة:
https://atharah.com/crowding-for-medical-resources/

القاعدة الأولى: أن الأولى بالعلاج من حيث الأصل الأسبق إليه، ومعنى ذلك: أن من سبق إلى مكان العلاج ممن هو مصاب بالوباء فإنه أولى من غيره، ولا فرق في ذلك بين ذكَر ولا أنثى، ولا صغير ولا كبير، ولا غني ولا فقير، ولا غيرها من الأوصاف.

ومما يدل على اعتبار هذه القاعدة قوله ﷺ: «لا يقيم الرجل الرجل من مقعده، ثم يجلس فيه»[(١)].

القاعدة الثانية: أن الأشد حاجة يقدم على الأقل حاجة، ومعنى ذلك: أن بعض المصابين بالوباء يكون مرضه أشد وأقوى تضررا بالوباء من غيره، فيقدم عليه، وكذلك يقدم مَن الحاجة إليه في نفس المسلمين أعلى ممن الحاجة إليه أقل، فإن كانت الحاجة إليه أقوى في استقرار حال المسلمين في دينهم ودنياهم فإنه يقدم على غيره في الدواء.

ودليل هذه القاعدة جميع النصوص التي فيها تقديم أعلى المصلحتين وتقديم دفع أقوى الضررين.

القاعدة الثالثة: أن الذي يرجى برؤه من الوباء أكثر من غيره يقدم على الذي برؤه أضعف، ولا فرق في ذلك بين صغير ولا كبير، فإن كان كبير السن برؤه أشد رجاء من الصغير فإنه يقدم بالعلاج على غيره، وكذلك لا فرق بين ذكَر ولا أنثى، ولا غني ولا فقير، ولا غيرها من الأوصاف.

القاعدة الرابعة: عند انعدام كل المرجحات بين المصابين بالوباء الذين تزاحمت حقوقهم في العلاج فإنه يُلجأ إلى القرعة، فمن أتت عليه القرعة بالتقديم فإنه يقدم على غيره من غير نظر إلى أوصاف أخرى.

ودليل هذه القاعدة جميع النصوص التي فيها إباحة الأخذ بالقرعة، من ذلك ما جاء عن أبي هريرة أن النبي ﷺ: «عرض على قوم اليمين، فأسرعوا، فأمر أن يسهم بينهم في اليمين أيهم يحلف»[(٢)]، ومعنى «أن يُسهم بينهم»، أي: يُقرع بينهم.

فبهذه القواعد وغيرها يحقق المسلم العدل في التعامل مع أثر من أخطر الآثار المترتبة على الوباء، وبها يحقق امتيازا من أهم الامتيازات التي تبين الفرق بين المسلم وبين العلماني المادي.

الخاصية الخامسة: الترتيب في سقوط الحقوق بسبب الموت بالوباء، ومعنى ذلك: أن المصاب بالوباء المعدي بعد موته له حقوق على إخوانه المسلمين، من التغسيل والتكفين والصلاة والدفن، فلا يجوز لهم أن يسقطوها بحجة أنه مصاب بالوباء، وإنما يجب عليهم أن يفعلوا كل ما هو في مقدورهم.

فإن تعذر عليهم تغسيل الميت بالماء مباشرة، فإنه يجب عليهم أن يغسّلوه برشه من بعيد بالدرجة التي تضمن لهم عدم إصابتهم بالعدوى.

---

(١) رواه البخاري، كتب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه (٦٢٦٩)؛ ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه (٢١٧٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب إذا تسارع قوم في اليمين (٢٦٧٤).

وكذلك إن تعذر عليهم تكفينه مباشرة فإنه يجب عليهم أن يكفنوه بآلة أو بأي وسيلة تضمن لهم عدم إصابتهم بالعدوى.

وكذلك إن تعذر عليهم الاقتراب منه للصلاة عليه، فإنه يجب عليهم أن يصلوا عليه بالمسافة التي تضمن لهم عدم إصابتهم بالعدوى، فإن تعذرت عليهم الصلاة مطلقا، فإنه يجب عليهم أن يصلوا على قبره بعد دفنه.

وكذلك إن تعذر عليهم دفنه بالطريقة الشرعية المعتادة، فإنه يجب عليهم أن يدفعوه بأي وسيلة تحقق المقصد من الدفن ولا يتركوا الميت بلا دفن مع ضمانة عدم إصابتهم بالعدوى.

وموجب هذا الترتيب في التعامل مع هذا الأثر من آثار الوباء يرجع إلى عدد من القواعد ومنها: قاعدة «أن الميسور لا يسقط بالمعسور»، وقاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، وقاعدة «الضرورة تقدر بقدرها»، وهي من القواعد الفقهية الكلية المشهورة[1].

فالجمع بين هذه القواعد يوجب المنهج الشرعي الذي بُيّن فيما سبق، وبهذا يتميز المسلم في تعامله مع من توفي بسبب الوباء، ويكون أكثر انضباطا واتساقا من غيره.

(١) انظر: السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م. (١٧٦، ٢٩٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر بمنه وكرمه إتمام هذا البحث، الذي أسأل الله تعالى أن يجعله نافعا مباركا، وقد انتهيت فيه إلى عدد من النتائج والتوصيات، من أهمها:

الأمر الأول: أن المعتبر في خصائص المسلم ليس تميزه وانفراده الكلي فيها، وإنما يكفي أن يكون متميزا ومنفردا في معنى من المعاني المتعلقة بالخاصة.

الأمر الثاني: أن المصادر التي يؤمن بها المسلم، وينطلق منها في بناء تصوراته ومواقفه لها أثر بليغ في تشكيل هويته وحقيقته.

الأمر الثالث: أن خصائص المسلم متنوعة، ومتعلقة بجهات مختلفة في كيانه؛ منها ما يتعلق بتفكيره، ومنها ما يتعلق باعتقاده وقلبه، ومنها ما يتعلق بعمله وجوارحه.

الأمر الرابع: ضرورة التركيز على دراسة خصائص المسلم وإبرازها؛ لما لهذه الخصائص من أثر بليغ في الدعوة إلى الإسلام والإقناع به.

الأمر الخامس: أقترح أن تُعقد ندوات ولقاءات تتناول كل قسم من أقسام خصائص المسلم في التعامل مع الوباء بالنقاش والحوار، فهي جديرة بذلك.

قائمة المراجع

١. أحاديث العقيدة التي ظاهرها التعارض في الصحيحين، سليمان الدبيخي، مكتبة دار البيان الحديثة، السعودية، ط١-١٤٢٢ه.

٢. الأسماء والصفات، البيهقي، أبوبكر، أحمد بن الحسين (ت:٤٥٨هـ-١٠٦٦م)، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، دار السوادي، السعودية، ط١-١٤١٣هـ.

٣. الأشباه والنظائر، السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ-١٥٠٥م)، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٤-١٤١٨هـ.

٤. الأموال، ابن زنجويه، أبو أحمد، حميد بن مخلد (ت:٢٥١هـ-٨٦٥م)، تح: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيضل، ط١-١٤٠٦هـ.

٥. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر (ت:١٣٧٦هـ-١٩٥٦م)، تح: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد، السعودية، ط١-١٤٢٢هـ.

٦. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر (ت:١٣٧٦هـ-١٩٥٦م)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١-١٤٢٠هـ.

٧. جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ-٩٢٣م)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١-١٤٢٢هـ.

٨. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ-١٣٥٠م)، دار المعرفة، المغرب، ط١-١٤٢٠هـ.

٩. حول إعادة تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ط١-١٤٠٣هـ.

١٠. شأن الدعاء، الخطابي، أبو سليمان، حمد بن محمد (ت:٣٨٨هـ-٩٩٨م)، تح: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط٢- ١٤١٢هـ.

١١. شرح مشكاة المصابيح، الطيبي، الحسين بن محمد (ت:٧٤٣هـ-١٣٤٢م)، تح: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١-١٤١٢هـ.

١٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت:٧٥١هـ-١٣٥٠م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان-١٣٩٨هـ=١٩٧٨م

١٣. الصارم المسلوم على شاتم الرسول، ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم (ت:٧٢٨هـ-١٣٢٨م)، تح: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط١-١٤١٧هـ.

١٤. المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، أبو زهرة، الدار السعودية للنشر، ط١-١٤٠٢هـ.

١٥. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم (ت:٧٢٨هـ-١٣٢٨م)، جمع عبد الرحمن بن قاسم، جامعة الإمام محمد بن سعود-١٤١٨هـ.

١٦. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (ت:٤٥٨هـ-١٠٦٦م)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١-١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

١٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي قارئ، أبو الحسن، علي بن سلطان محمد (ت:١٠١٤هـ-١٦٠٦م)، دار الفكر، بيروت، ط١-١٤٢٢هـ.

١٨. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس (ت:٣٩٥هـ-١٠٠٤م)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر-١٣٩٩هـ.

١٩. مفتاح دار السعادة، ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر (ت:٧٢٨ه-١٣٢٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد (ت:٦٠٦هـ-١٢١٠م)، تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، ط١-١٣٩٩هـ.

- **المقالات:**

١- رؤية شرعية حول التزاحم على الموارد الطبية، طارق العنقاوي، موقع أثارة.